



عالم سوري من أبرز علماء الفقه في العصر الحديث، أطل على العالم الإسلامي في وقت كان يئن تحت نير الاستعمار الإنجليزي والفرنسي الذي أدى إلى تراجع البلاد وانهيارها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً. وقام العالمة في التوجيه والإصلاح وظهر أثر الفكر الغربي في الفكر والثقافة الإسلامية، فظهر الفكر الاستشرافي والتبييري.

في هذه الأوضاع ظهر الشيخ مصطفى الزرقا مصلحاً ذا أثر عظيم في إصلاح المجتمع ونهضته. هو مصطفى أحمد الزرقا، ولد في مدينة حلب الشهباء عام 1322 هـ الموافق 1904 م في بيت علم وصلاح.

نشأ في أسرة علمية دينية، اشتغلت بالفقه الحنفي وبرزت فيه، وتلتمذ على يد علماء عصره.

قال عن مولده:

ولدت في العام (1907م). واضطربت لتغيير ذلك التاريخ فيما بعد عندما أردت الالتحاق بالمرحلة الثانوية من الدراسة الخاصة، إذ كانوا لا يقبلون طالباً يتقىد لامتحان البكالوريوس العامة من ذوي الدراسة الشخصية إلا إذا استوفى الثالثة والعشرين، فأصبح مولدي رسمياً هو (1904م).

الحرب العالمية الأولى:

بعد سنتين من دخوله مدرسة الفريير انفجرت الحرب العالمية الأولى، ومنذئذ أخذ القائمون على المدرسة من (الإخوة

الفرنسيين) جنوداً إلى فرنسا، وخلفوا عليها بعض الحلبيين من النصارى، فاستمرت على ذلك فترة غير طويلة، ثم أغلقت مع سائر المدارس الأجنبية والوطنية جميعاً، وتحولت المدارس الكبرى ثكنات عسكرية.. وكان قد انتقل بعد إغلاق الفرير إلى المدرسة الرشيدية، التي سميت بالثانوية فيما بعد، ولكنها لم تستمر سوى أشهر قليلة حتى أغلقت أيضاً، واستحالت ثكنة عسكرية.. وهكذا انتهى الأمر بالدراسة إلى التوقف التام.

حفظ القرآن منذ صغره في الكتاتيب، تلمذ على يد المحدث بدر الدين الحسني والمؤرخ محمد راغب الطباخ والعلامة محمد الحنفي.

نال شهادة البكالوريا الأولى في شعبة العلوم والآداب والرياضيات والفلسفة وحصل على الدرجة الأولى على طلاب سورية. كما نال شهادتي الحقوق والآداب في المرحلة الجامعية، ثم диплом في الشريعة.

توجه إلى دمشق عام 1929 م ونال البكالوريا الثانية في شعبة الرياضيات والفلسفة ثم التحق بالجامعة السورية. في عام 1933 م تخرج من كلية الحقوق والآداب معاً وأحرز الدرجة الأولى ثم حاز عام 1947 شهادة диплом في الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).

أعمال شغلها:

- عينته وزارة الأوقاف في الكويت خبيراً للموسوعة الفقهية فيها سنة 1966 ،
- درس في عدد كبير من كليات الشريعة في سوريا والجامعة الأردنية والخليج،
- يعتبر حجة في الاجتهاد مثل قضايا البنوك والتلقيح الاصطناعي والبيوع الحديثة.
- تولى التدريس في المدرسة الخسروية، كما شغل مكان والده في المدارس النظامية التي كان يدرس فيها، كما درس في عدد كبير من كليات الشريعة في سوريا والأردن والخليج، واستمر في التدريس في جميع المحافل العلمية، لمدة تتفوّغ عن الأربعين سنة، وبلغ من تلاميذه كثيرون.
- انتخب في المجلس النيابي السوري نائباً عن مدينة حلب عام 1954 م وأسندت إليه وزارة العدل والأوقاف عامي 1956 ثم 1962 م.

شيوخه وأساتذته:

- يأتي في مقدمة أساتذته وشيوخه: والده وحده الفقيهان الكباران رحمهما الله. درس عليهما الفقه الحنفي، وقواعد لأحكام العدالة.
- العلامة الفقيه النحوي الشیخ: أحمد المکتبی الشافعی - ت 1342 هـ.
- درس عليه شرحه لجوهرة التوحید (المنهج السدید) و(رسالة التوحید) للشیخ محمد عبد، كما درس عليه التفسیر والبلاغة.
- الشیخ: محمد الحنفی المتوفی بجدة سنة - 1342 هـ وهو من أعظم شيوخه تأثیراً فيه.
- العلامة المؤرخ المحدث الشیخ: محمد راغب الطباخ - ت 1370 هـ. درس عليه الحديث والسیرة النبویة.
- الشیخ أحمد الكردي - ت 1373 هـ. أمین الفتوى بحلب.
- الشیخ إبراهیم السلقینی الجد - ت 1367 هـ.
- الشیخ عیسی البیانونی - 1362 هـ.
- الشیخ أحمد الشمامع - 1362 هـ.
- الشیخ محمد الناشد - ت 1362 هـ.
- كما حضر في دمشق أثناء دراسته الجامعية دروس العلامة المحدث الكبير الشیخ محمد بدر الدين الحسني.
- ودرسه في الشام أيضاً: الشیخ عبد القادر المبارک.
- وعبد القادر المغربي.

- وسلام الجندي.
- وشاعر الشام شفيق جبرى.

تلاميذه:

استمر الشيخ الزرقا في التدريس في جميع المحافل العلمية، لمدة تناولت عن الأربعين سنة، وقد نبغ من تلاميذه كثيرون.
من أشهرهم:

- الشيخ المحدث عبد الفتاح أبو غدة.
- الفقيه الحنفي الشيخ محمد الملاج.
- اللغوي الأديب عبد الرحمن رأفت باشا.
- الفقيه الأصولي الشيخ محمد فوزي فيض الله.

مؤلفاته:

اهتم الشيخ الزرقا بإصدار سلستين علميتين فقهيتين قانونيتين:
الأولى: السلسلة الفقهية: وعنوانها العام: "الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد"، وقد بلغت أجزاؤها أربعة مجلدات: الجزء الأول والثاني: "المدخل الفقهي العام" والجزء الثالث: "المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي"، والجزء الرابع: "العقود المسممة في الفقه الإسلامي : عقد البيع".

الثانية: السلسلة القانونية: وتتألف من ثلاثة مجلدات في: "شرح القانون المدني السوري". وقد حوت هذه السلسلة مقارنات كثيرة بالفقه، وأبرزت بوضوح ما يتميز به الفقه الإسلامي من إحاطة ودقة وشمول.
وله أيضاً:

- أحكام الأوقاف.
- في الحديث النبوي.
- الاستصلاح والمصالح المرسلة في الفقه الإسلامي.
- الفعل الضار والضمان فيه.
- نظام التأمين، والرأي الشرعي فيه.
- الفقه الإسلامي ومدارسه (بتكليف من منظمة اليونسكو).
- رسالة بعنوان: عظمة محمد مجمع العظمات البشرية.
- عقد الاستصناع وأثره في نشاط البنوك الإسلامية.
- صياغة شرعية لنظرية التعسف في استعمال الحق.
- ديوان شعر، بعنوان: قوس قزح.

منهجه العلمي:

ويقوم منهجه على أساس هي:

1- الاستقلال في الفهم والبعد عن العصبية المذهبية.

2- التخفيف والتيسير والبعد عن الحرج بضوابطه الفقهية.

3- تطبيق مبدأ سد الذرائع.

4- الأخذ بفقه الضرورة.

5- التعليل للحكم الفقهي.

- 6- ذكر الحكم الديني بجانب الحكم القضائي.
- 7- الاستدلال بالقواعد الفقهية والأصولية.
- 8- إحالة المستفتى إلى كتاب يستوفي الموضوع.
- 9- سؤال إخوانه من أهل العلم.
- 10- إيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمة.
- 11- تقييد الفتوى بقيود وضوابط.

وفاته:

توفي -رحمه الله- بعد أسبوعين من وفاة صديقه الشيخ علي الطنطاوي يوم السبت 19 ربيع الأول 1420 هـ الموافق 3 يوليو 1999 م بعد أذان صلاة العصر وهو جالس ينصح الفتاوى ويبو بها.

-
- 1- موقع جائزة الملك فيصل العالمية
 - 2- هيئة الشام الإسلامية
 - 3- ويكيبيديا الموسوعة الحرة
 - 4- رابطة أدباء الشام

المصادر: